الفوضى العالمية ودور إفريقيا في إعادة صياغة النظام الدولي

أ. د. حمدي عبد الرحمن حسن
أستاذ العلوم السياسية بجامعتي زايد والقاهرة

تُعدّ «نظرية الفوضى» أحد الأُطر النظرية الرئيسية في العلاقات الدولية إلى جانب الواقعية والليبرالية والبنائية. تؤكد الواقعية، مثل نظرية الفوضى، على دور الاعتماد على الذات والسعي وراء القوة في النظام الدولي، ولكنها مع ذلك تضع تركيزاً أقل على الطبيعة الفوضوية للنظام. ومن جهة أخرى؛ تركز الليبرالية على إمكانية التعاون ودور المؤسسات في التخفيف من آثار الفوضى الدولية. كما تُركز البنائية على دور الأفكار والمعايير في تشكيل سلوك الدولة والنظام الدولي.

وغالبـــاً ما ترتبط نظريـــة الفوضى بالمنظور الواقعي في العلاقـــات الدولية، ولكن هناك أيضاً وجهات نظـــر أخرى تُجادل بأن الفوضى ليســـت مُعطى، ولكنها بدلاً من ذلـــك مبنية اجتماعياً من خـــلال تصرفات وتفاعلات الدول. وبشـــكلٍ عام؛ تقـــدّم النظريات المختلفة فـــي العلاقات الدولية منظورات مختلفة حول ديناميكيات النظام الدولي وسلوك الدول.

وعلى أي حال؛ بينما تســـلط نظرية الفوضى الضوء على دور الاعتماد على الذات وغياب سلطة أعلى في تشـــكيل ســـلوك الدولة؛ تقدّم الواقعية والليبراليـــة والبنائيـــة وجهات نظـــر بديلة حول كيفيـــة تفاعل الدول وتعاونها فـــي النظام الدولي الفوضوي[١].

وعلـــى الرغم من تعدد هـــذه النظريات؛ فقد احتلت إفريقيا مكانةً هامشية في أدبيات العلاقات الدوليـــة، ويبدو الأمر كما لو أن ملاحظات هيجل، التي كثيراً ما يُستشـــهد بها في وصف إفريقيا، لا تزال مؤثرةً لمـــدة قرنين من الزمان بعد صياغتها الأولى.

ويمكن العثور على آراء هيجل حول إفريقيا في جميع أعماله، ولكن تمت مناقشتها على نطاق واسع في كتاب (محاضرات حول فلســـفة تاريخ العالم) الذي نُشـــر بعد وفاته[٢]، في هـــذه المحاضرات يقـــدّم هيجل فهمه لتاريخ العالـــم باعتباره تطوراً عبـــر مراحل مختلفة من التنمية البشـــرية، حيث تكون إفريقيا وشعبها في أدنى مراحل هذا التطور الإنســـاني. بالإضافة إلى ذلك؛ يمكن العثور على آرائه حول إفريقيا في (فلسفة الحق)، حيث كتب: أن إفريقيا «ليست جزءاً تاريخياً من العالم؛ وليس لديها حركة أو تطور يمكن استعراضه»[٣].

لم تكن ملاحظات هيجل فريدة من نوعها عن إفريقيا، ويمكـــن أن تمتد إلى مناطق أخرى خارج «الغـــرب الحضاري» بنزعتـــه المركزية، وإن كان- ربما- بدرجة أقل.

تعرضت هـــذه الأدبيات التقليديـــة للعلاقات الدوليـــة للعديد من الانتقـــادات، التي دفعت إلى تقديم أجندة بحثية جديدة لمعالجة هذا القصور، ودعـــوة العلاقات الدوليـــة المعولمة إلى نهج أكثر انفتاحـــاً على العالم غير الغربـــي. وقد أدىً هذا النهج الجديـــد إلى الاعتراف الواجـــب بالتواريخ والجغرافيـــا ونظريات المعرفـــة غير الغربية، من أجل استكشاف شبكة العلاقات المعقدة التي يقوم عليها النظام الدولي اليوم بشكلٍ أكثر شمولاً.

وبناءً علـــى ذلك؛ طرحت الأدبيـــات الحديثة مقتربـــات ورؤى جديدة عن إفريقيا من وجهة نظر عالمية، وتهدف هذه الدراســـات إلـــى تعزيز دور النظريات والمفاهيم والممارســـات الإفريقية، من أجل معالجة التهميش الملحوظ للقارة في أدبيات العلاقات الدولية[٤].

ومـــع تزايد ملامح الفوضى في النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة، بما في ذلك عدم وجود سلطة مركزية أو هيئة حاكمة يمكنها فرض القواعد

(١) انظر على سبيل المثال:
Quinn, R. and Gibson, B.R., 2017. An Analysis of Kenneth Waltz›s: Theory of International Politics. Macat Library, Strange, S., 1996. The retreat of the state: The diffusion of power in the world economy. Cambridge university press and Mearsheimer, J.J. and Alterman, G., 2001. The tragedy of great power politics. WW Norton & Company.

(٢) Hegel, G.W.F., 2001. The philosophy of history (Vol. 12). Willey.

(٣) Camara, B. (2005). The Falsity of Hegel's Theses on Africa. Journal of Black Studies, 36(1), pp. 82–96.

(٤) Acharya, A and Buzan, B. 2017. Why is there no non-Western international relations theory? Ten Years on. International Relations of the Asia-Pacific 17, pp. 341–370.

واللوائح على تصرفات الدول، أضحت مناقشة دور ومكانة إفريقيا مسألة محورية. لقد أصبحنا أمام وضع يتعيّن على الدول فيه الاعتماد على قوتها ومواردها لحماية مصالحها وضمان أمنها. في السنوات الأخيرة؛ كان صعود الصين كقوة عالمية وتراجع الولايات المتحدة تطورين رئيسيين في النظام الدولي شكلتهما الفوضى.

وعليه؛ سوف يتناول هذا المقال **الفوضى في النظام الدولي وتأثيرها على دور ومكانة إفريقيا، وهل يمكن لإفريقيا أن تعيد تشكيل النظام الدولي لتخرج من دائرة التهميش الذي ارتبط بها لفترات زمنية طويلة؟**

وفي محاولة الإجابة عن هذا التساؤل المركزي؛ سوف تعتمد الدراسة من خلال مراجعة الأدبيات على المنهج الكيفي في تحليل الكتب والمقالات والتقارير وغيرها من المصادر، لبيان طبيعة دور ومكانة إفريقيا في عمليات إعادة صياغة النظام الدولي الراهن.

وبناء عليه؛ تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية على النحو التالي:

يناقش **المحور الأول** طبيعة فوضى النظام الدولي الراهن والجدل الدائر حول تفكك دعائم النظام أحادي القطبية وبروز قوى صاعدة جديدة مثل: الصين، وروسيا، والهند وغيرها. وما هو تأثير ذلك على القوى المتوسطة والصغرى في النظام الدولي. أما **المحور الثاني** فهو يناقش إمكانيات وقدرات إفريقيا لإعادة تشكيل النظام الدولي من حيث الاعتبارات الجيوستراتيجية والاقتصادية والسياسية. ويطرح **المحور الثالث** التحديات والعقبات ورؤى المستقبل الإفريقي من خلال نهج «أفروتوبيا».

أولاً: الفوضى وجدلية صعود وتراجع القوى الدولية:

لعل إحدى الخصائص الرئيسية للفوضى في النظام الدولي- كما ذكرنا آنفاً- هي غياب حكومة عالمية، هذا يعني أنه لا توجد سلطة أعلى لتنظيم تصرفات الدول وإنفاذ القواعد والقوانين. في غياب حكومة عالمية؛ يجب على الدول الاعتماد على قوتها ومواردها لحماية مصالحها وضمان أمنها. وقد أدى ذلك إلى وضع تتنافس فيه الدول على السلطة والنفوذ في النظام الدولي[1]، ويمكن النظر إلى صعود الصين كقوة عالمية كنتيجة لهذه المنافسة على السلطة في النظام الدولي.

نحو نظام عالمي غير غربي:

على مدار عقود قليلة فقط؛ تقدّمت الصين من كونها عضواً هامشياً نسبياً في المجتمع الدولي إلى قوة إقليمية كبرى، في طريقها إلى أن تصبح قوة مهيمنة عالمية. ويشهد العالم في الوقت الحاضر شكلاً جديداً من أشكال «الحرب الباردة» بين الولايات المتحدة والصين، فقد ازدادت الاحتكاكات والمناوشات بشكلٍ متزايد خلال رئاسة دونالد ترامب، واستمرت بطريقة مماثلة في عهد جو بايدن، إذ تشكل الحروب التجارية والمنافسة التكنولوجية، وكذلك عدم الثقة المتبادل والاتهامات، ما يبدو أنه أدنى نقطة في تدهور العلاقة بين الطرفين، منذ استئناف العلاقات الرسمية في عام ١٩٧٩م. وفي حين أن الصراع كان موجهاً في الغالب نحو المصالح الاقتصادية وحرب التجارة والرسوم الجمركية، منذ جائحة كوفيد-١٩، فيبدو أن الصدام قد اتخذ أشكالاً أيديولوجية أكثر، فقد تحدثت دوائر كثيرة في الإدارة الأمريكية عن الهجمات المباشرة المتكررة من الصين وحكومتها، والسلوك غير الشفاف للحزب الشيوعي وانتهاكاته لحقوق

(١) Sharma, S. 2022, "Anarchy Is What It Is Made Up Of: Reappraising Kenneth Waltz's Grand Concept Through a Marxian Lens", International studies (New Delhi), vol.59, no.4, pp. 336-363.

الإنسان والبروتوكولات الدولية[١].

كانت إدارة الرئيس الصيني تنشر على الصعيدين المحلي والدولي التصور القائل بأن الوقت قد حان أخيراً لكي تتصرف الصين بطريقة أكثر حزماً، وأن العالم يمر بتغيرات كبيرة نادراً ما رأينا مثلها على مدى قرن من الزمان، مما يشير إلى أن الصين ستلعب دوراً أكبر بكثير في هذه البيئة المتغيرة. وتوجد هذه العبارة بشكلٍ متكرر في الوثائق والخطابات الرسمية الصينية، مما يشير إلى أن البلاد بدأت بنشاط علني في السعي نحو نظام إقليمي ودولي جديد متمحور حول الصين.

في ظل هذه البيئة العالمية المتغيرة؛ فإن السعي للحصول على وضع دولي مناسب هو عنصر أساسي في عمليات اكتساب الشرعية السياسية على المستوى الوطني في الصين. وتطمح الصين في عهد شي جين بينغ، بعد أن أصبحت «غنية» إلى تعزيز بروزها على المستوى الدولي، وبالتالي الوصول إلى المقصد والمبتغى، وهو نهضة عظيمة للأمة الصينية. ويبدو أن هذا الهدف أقرب من أي وقت مضى- في نظر القيادة الصينية- في سياق دولي يتميز بـ«فترة من الفرص الإستراتيجية»، والتي يتم تصويرها من قِبَل الحزب الشيوعي الصيني كغطاء أمامي لـ«صعود الشرق، وتراجع الغرب».

في هذا السياق؛ يتسم عمل السياسة الخارجية للصين بطموح غير مسبوق؛ يبدو أنه أوقف بشكلٍ نهائي- سواء في الممارسة أو على المستوى النظري- مفهوم الحنين للعصر القديم، المرتبط بفكر الزعيم الأعلى دنغ شياو بينغ محدود الطموح من أجل الاكتفاء بـ«إنجاز الأمور» فقط[٢].

ابتداءً من عام ٢٠٠٨م، وفي أعقاب الأزمة المالية في الغرب، بدأ القادة الصينيون في التفكير في احتمال تراجع الولايات المتحدة، وأن الصين في طريقها إلى الصعود. في الواقع؛ في عام ٢٠٠٩م تجاوزت البلاد ألمانيا وأصبحت أكبر دولة مصدرة في العالم، وفي عام ٢٠١٠م تجاوزت اليابان وأصبحت أكبر اقتصاد في العالم بعد الولايات المتحدة.

أما فيما يتعلق بالنفقات العسكرية في عام ٢٠١٥م؛ فقد كانت ميزانية الدفاع الصينية بالفعل أعلى بخمس مرات من جميع دول الآسيان العشر معاً، وأصبحت في هذه الأثناء أعلى من ذلك[٣]. وبناء على ذلك؛ كانت الصين أكثر حزماً في سياستها الخارجية، لا سيما في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وقد أدى ذلك إلى مخاوف بين الدول الأخرى بشأن القوة المتزايدة للصين وقدرتها على تعطيل النظام الدولي الحالي.

على سبيل المثال: كانت مطالبات الصين الإقليمية في بحر الصين الجنوبي وبنائها لمنشآت عسكرية على الجزر المتنازع عليها مصدر توتر مع دول أخرى في المنطقة، ولا سيما الفلبين وفيتنام واليابان، وأدت إلى مخاوف بشأن حرية التنقل في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك؛ أثارت مبادرة الحزام والطريق الصينية، وهي مشروع استثماري ضخم في البنية التحتية يهدف إلى ربط آسيا وأوروبا وإفريقيا، مخاوف بين بعض الدول بشأن الديون

(١) Grano, S.A., 2023. China-US Strategic Competition: Impact on Small and Middle Powers in Europe and Asia. In China-US Competition (pp. 3-25). Palgrave Macmillan, Cham.

(٢) Ibid. p.6.

(٣) Steinbock, D., 2017. The Great Shift of Globalization: From the Transatlantic Axis towards China and Emerging Asia. China Quarterly of International Strategic Studies, 3(02), pp. 193-226.

واحتمال فقدان السيادة[١].

بالنظر إلى أن الولايات المتحدة كانت القوة العظمى الوحيدة في العالم منذ نهاية الحرب الباردة؛ فإن الصين، بقوتها الصاعدة، تسعى إلى تغيير وتشكيل البيئة الدولية بطرق مواتية لتحقيق أهدافها الخاصة، وهي: إنشاء نظام عالمي يتمحور حول الصين. ومنذ أن شنت روسيا غزوها الشامل لأوكرانيا، في ٢٤ فبراير ٢٠٢٢م، اتخذت الصين موقفاً محايداً على المستوى المعلن، مع تجنب الانتقاد المباشر لروسيا. لقد امتنع الصينيون حتى الآن عن استخدام التأييد لروسيا- ضد أوروبا والولايات المتحدة. ومع ذلك؛ تشير إستراتيجية جو بايدن الجديدة من أجل منطقة المحيطين الهندي والهادئ FOIP الجديدة والمفتوحة، والتي صدرت في فبراير ٢٠٢٢م، بوضوح إلى أن الصين لا تزال تمثل التهديد المحتمل الأول لأمن الولايات المتحدة[٢].

إفريقيا.. والتنافس الصيني الأمريكي:

يمكن أن يكون تأثير المنافسة بين الصين والولايات المتحدة على القوى الصغيرة والمتوسطة إيجابياً أو سلبياً، اعتماداً على الدولة وعلاقتها بكلتا القوتين، **وذلك على النحو الآتي**[٣]:

- من حيث الاستثمار:

أصبحت الصين فاعلاً رئيسياً في إفريقيا، حيث تستثمر الشركات الصينية في مشاريع البنية التحتية، مثل الطرق والسكك الحديدية والموانئ. على سبيل المثال: استثمرت الصين بكثافة في السكك الحديدية الكينية المعيارية (مومباسا – ونيروبي)، التي تربط بين أكبر مدينتين في كينيا، وقد أدى هذا المشروع إلى نمو اقتصادي وخَلْق فرص عمل في البلاد. ومع ذلك؛ فقد أثار أيضاً مخاوف بشأن ديون البلاد واحتمال فقدان السيادة.

وعلى أي حال؛ قد تستفيد القوى الصغيرة والمتوسطة من المنافسة، حيث قد تقدّم كلٌّ من الصين والولايات المتحدة الاستثمار والمساعدات لكسب النفوذ في البلاد، على سبيل المثال: في إفريقيا؛ تلقت إثيوبيا استثمارات كبيرة من كلٍّ من الصين والولايات المتحدة، مما أدى إلى النمو الاقتصادي وتطوير البنية التحتية.

- مثال آخر هو التنافس على الموارد في إفريقيا:

الصين هي أكبر مستهلك للموارد الطبيعية في العالم، وإفريقيا غنية بالموارد مثل النفط والغاز والمعادن، نتيجة لذلك؛ استثمرت الصين بكثافة في الصناعات الاستخراجية بإفريقيا. ومع ذلك؛ فقد أدى ذلك إلى مخاوف بشأن التأثير البيئي والاجتماعي لهذه المشاريع، والاستغلال المحتمل لموارد إفريقيا من قِبَل الصين.

- من حيث الوجود العسكري:

أنشأت كلٌّ من الصين والولايات المتحدة قواعد عسكرية في إفريقيا، على سبيل المثال: أنشأت الصين قاعدة عسكرية في جيبوتي عام

(١) Ikenberry, G.J., 2011. The future of the liberal world order: Internationalism after America. Foreign affairs, pp. 56-68.

(٢) الفكرة الأساسية لمفهوم منطقة المحيطين الهندي والهادئ المفتوحة FOIP: هي إنشاء نظام دولي قائم على توحيد القواعد والمبادئ العامة، مثل حرية التجارة والملاحة الدولية وسيادة القانون، والتي تعتبر ضرورية للاستقرار والازدهار في المنطقة. انظر: Grano, op.cit. p.7.

(٣) انظر وراجع:
Lohalo, G.O., Lestari, Y., Shongo, T., Mushinda, B.N., Diur, N.K., Badila, J.M., Mutombo, S., Nonga, M.Y., Itaka, C.B., Bafita, C.M. and Mutshembe, F.L., 2022. US-China Competition in Africa: The Strategic Ambiguity. Open Journal of Political Science, 12(4), pp.670-684. and :Kurlantzick, J., Shinn, D. and Pei, M., 2006. China's Africa Strategy: A New Approach to Development and Diplomacy?. Carnegie Endowment for International Peace, December 12, pp. 1-2.

٢٠١٧م، والتي تتمتع بموقع إستراتيجي بالقرب من مضيق باب المندب، وهو طريق شحن رئيسي للنفط والغاز. وللولايات المتحدة أيضاً قاعدة عسكرية في جيبوتي، مما أدى إلى توترات بين القوتين[١].

- من ناحية أخرى؛ مواجهة ضغوط الدولتين:

قد تواجه القوى الصغيرة والمتوسطة أيضاً تأثيرات سلبية من المنافسة، حيث قد تمارس الصين والولايات المتحدة الأمريكية ضغوطاً على البلاد لتتماشى مع مصالح كلٍّ منهما. على سبيل المثال: في إفريقيا؛ واجهت بلدان مثل أنغولا وموزمبيق مشكلات ديون بسبب الاقتراض الكبير من الصين، مما أدى إلى ضغوط اقتصادية وفقدان محتمل للسيادة.

- بالإضافة إلى ذلك؛ مواجهة صراعات الدولتين:

فقد تواجه القوى الصغيرة والمتوسطة أيضاً صراعات وتوترات محتملة بين الصين والولايات المتحدة داخل حدودها، حيث قد تتنافس كلتا القوتين على الموارد والمواقف الإستراتيجية. على سبيل المثال: في إفريقيا؛ واجهت دول مثل إثيوبيا والسودان توترات، حيث تسعى كلٌّ من الصين والولايات المتحدة إلى اكتساب النفوذ في المنطقة.

بشكلٍ عام؛ يمكن أن يختلف تأثير المنافسة بين الصين والولايات المتحدة على القوى الصغيرة والمتوسطة بشكلٍ كبير، ومن المهم لهذه الدول أن تدرس بعناية علاقاتها مع كلتا القوتين لضمان حماية مصالحها الوطنية وسيادتها.[٢]

تأثير الوجود الروسي في إفريقيا:

يولي الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أهمية كبيرة لإعادة بناء روسيا كقوة عالمية، بما في ذلك تعزيز العلاقات مع إفريقيا. لكن بينما اعتاد الاتحاد السوفييتي الدعوة إلى التحديث بمفهومه الاشتراكي في إفريقيا؛ فلم تعد موسكو تقدّم أيديولوجيات اشتراكية. بدلاً من ذلك؛ تركز على الوصول إلى النخب الإفريقية، ولا سيما القادة غير الموالين للغرب. كما أنها تسعى إلى التأثير في الانتخابات لصالحها، ولاسيما في الدول الهشة والغنية بالموارد الطبيعية.

وتحاول روسيا – من الناحية الواقعية – تجنب التنافس مباشرةً مع القوى الدولية الأخرى الفاعلة في إفريقيا. بدلاً من ذلك؛ تريد التركيز على البلدان التي لا يهيمن عليها أيٌّ من الغرب والصين، أي ما يمكن تسميته «سياسة سد الفراغات»[٣]. في هذه المناطق تتوقع روسيا أن تكون قادرةً على العمل بشكلٍ أكثر فاعلية. لكن روسيا، مثلها مثل الصين، تتحدى الأعراف والتقاليد الغربية وتقوض العقوبات الأمريكية والأوروبية. بالإضافة إلى ذلك؛ يدعم كلا الشريكين الإستراتيجيين (روسيا والصين) عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول. بالإضافة إلى ذلك؛ كانت علاقات روسيا مع إفريقيا مدفوعةً بشكلٍ كبير باهتمامها بالموارد الطبيعية والأسواق والأمن.

إن عودة ظهور روسيا في إفريقيا يستفيد على الأقل من تصاعد عمليات الجماعات الإرهابية العنيفة، على سبيل المثال: في منطقة الساحل

---

(١) Cabestan, J.P., 2020. China's military base in Djibouti: A microcosm of China's growing competition with the United States and new bipolarity. Journal of Contemporary China, 29(125), pp. 731-747.

(٢) Murphy, D.C., 2022. China's Rise in the Global South: The Middle East, Africa, and Beijing's Alternative World Order. Stanford University Press.

(٣) انظر: حمدي عبدالرحمن حسن، العلاقات الروسية الإفريقية وتداعيات الحرب في أوكرانيا، ٢٠٢٢. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، سلسلة كراسات استراتيجية، العدد ٣٣٨.

وموزمبيق. إنها تستخدم الدول الهشة والصراعات الجارية لتأمين صفقات أسلحة مربحة وامتيازات التعدين. كما وقّعت موسكو اتفاقيات تعاون عسكري مع ٢١ دولة إفريقية، بما في ذلك مفاوضات بشأن إنشاء قواعد عسكرية. إنها تستخدم متعاقدين شبه عسكريين للتلاعب بمسار النزاعات المحلية لصالحها.

ومنذ عام ٢٠١٥م؛ تضاعفت التجارة الروسية الإفريقية إلى حوالي ٢٠ مليار دولار أمريكي سنوياً. كما صدّرت روسيا ما قيمته ١٤ مليار دولار من السلع والخدمات، واستوردت ما قيمته ٥ مليارات دولار من المنتجات الإفريقية.

في المقابل؛ يمكن لموسكو الاعتماد على دعم القادة الأفارقة في السياسة الخارجية، وهكذا؛ صوتت إريتريا ضد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يدين بشدة الحرب الروسية في أوكرانيا، وامتنعت ١٨ دولة إفريقية أخرى عن التصويت، بما في ذلك مالي وموزمبيق وأنغولا وجنوب إفريقيا[١].

ثانياً: إفريقيا.. وإعادة تشكيل النظام الدولي:

من المفيد في هذا السياق أن نحدد أولاً معنى إفريقيا الذي ظل مهيمناً في العلاقات الدولية بمفهومها الأوروبي. إن تقسيم إفريقيا الذي حدده هيجل أثبت أنه أساسي في تشكيل العمليات الأوروبية لبناء الهوية والاختلافات.

في فلسفة التاريخ، قسّم هيجل إفريقيا إلى ثلاث مناطق:

(أ) شمال إفريقيا، والتي سماها: «إفريقيا الأوروبية»؛

(ب) شمال شرق إفريقيا، والتي أطلق عليها: «وادي النيل»؛

(ج) ثم «إفريقيا الحقة»، وهي أرض الجنوب والغرب.

وقد اعتبر شمال إفريقيا ووادي النيل امتداداً لأوروبا وآسيا على التوالي. أما إفريقيا الحقة، أي الأرض الواقعة إلى الجنوب والغرب، والتي وفرت العبيد للتجارة عبر المحيط الأطلسي، فهي تتوافق في الغالب مع ما نعتبره اليوم أنه يشكل «إفريقيا جنوب الصحراء»، إنها تخلق صورة قارة بدون وكالة في النظام الدولي، وهي مساحة مفتوحة بالتالي للاختراق والغزو من قِبَل القوى والحضارات «الخارجية»، سواء كانوا مستعمرين أوروبيين، أو قوى دولية متنافسة طامحة للسيطرة والنفوذ.

وبهذا المعنى؛ فإن التقسيم الذي اقترحه هيجل أثر بشكلٍ كبير على الطريقة التي فسّر بها الأوروبيون، والغربيون عموماً، إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

تمثّل الصحراء والساحل خط صدع يمكن اعتباره عازلاً، يقسم مناطق حضارية مختلفة. وفقاً لتقليد تاريخي وجغرافي ممتد عبر الزمان؛ تمثل الصحراء والساحل، على التوالي، أكبر بحر من الرمال على كوكب الأرض وشواطئه الشاسعة شبه القاحلة التي يمكن أن تربط أو تفصل في الوقت نفسه عالم البحر الأبيض المتوسط عن إفريقيا السوداء، وقد تغير دورها على مرّ العصور. وبالتالي؛ فإن استكشاف التعريف هو المفتاح لفهم كيف نشأت «إفريقيا» تاريخياً، وكيف تم تعريفها وتعيين حدودها فيما يتعلق بمنطقة البحر الأبيض المتوسط وأوروبا.

لقد وصف المؤرخ اليوناني هيرودوت الصحراء الإفريقية بأنها الحدود الجنوبية للعالم المتحضر، وهي حاجز «طبيعي» وهندسي يفصل الحضارة عن الفوضى. في الوقت نفسه؛ تم تبنّي هذه الرؤية

(١) Kohnert, Dirk, The Impact of Russian Presence in Africa (March 26, 2022). Available at SSRN: https://ssrn.com/abstract=4067193 or: http://dx.doi.org/10.2139/ssrn.4067193

للمنطقة ليس فقــط باعتبارها مكاناً للانتقال من النظام إلى الفوضى، ولكن أيضاً كمساحة جغرافية قابلة للاختراق.

مصطلح «إعادة اختراع إفريقيا»:

في مواجهــة هذه الرؤية المُشــوّهة لإفريقيا ظهر مصطلح «إعــادة اختراع إفريقيا» في النظام الدولي، والذي يشــير إلى العمليات التي تقوم بها الدول والقادة الأفارقــة، الذين- من أجل التوكيد على دورهم وقوّتهم في الساحة العالمية- يتحدون الروايات التقليدية والقوالب النمطية حول القارة، ويعززون نظامــاً عالمياً أكثر إنصافاً وشــمولية. وعلى ســبيل المثال: يستكشف علي مزروعي في كتابه (إعادة اختراع إفريقيا) المشــهد السياسي والاقتصادي المتغيــر لإفريقيا في القرن الحادي والعشرين.

وتشمل الحجج الرئيسية للكتاب ما يأتي[1]:

- تمــر إفريقيا بعملية إعــادة اختراع، حيث تتحدى القارة الروايات التقليدية والصور النمطية عنها، وتؤكد قدرتها وقوّتها في الساحة العالمية.
- يقــود هذا التجديد جيــلٌ جديد من القادة الأفارقة، الذين يتمتعون بذكاء سياسي أكبر وأكثر حنكةً اقتصادياً من أسلافهم.
- أصبحت إفريقيا أكثر اندماجاً في الاقتصاد العالمــي، وأصبح لها تأثيرٌ متزايد في السياســة الدولية.
- إن إعــادة اختــراع إفريقيا مدفــوعٌ أيضاً بصعود الصين كشــريكٍ اقتصادي رئيسي للعديد مــن البلــدان الإفريقية، مما أدى إلــى تحوّل في ميزان القوى على الساحة العالمية.
- يجادل المؤلف بأن إعادة اختراع إفريقيا هو تطور إيجابي، لأنه ســيؤدي إلى نظام عالمي أكثر إنصافاً وشمولية.
- كمــا يســلط المؤلف الضوء علــى أهمية الوحدة الإفريقية والتعاون، وكذلك حاجة إفريقيا إلى أن تكون قادرةً على التحدث بصوتٍ واحد على الساحة الدولية.
- يشــدّد مزروعي أيضاً علــى أهمية التنوع الثقافي وضرورة الحفاظ عليه، فضلاً عن الحاجة إلــى معالجة التحديات التي تواجهها إفريقيا، مثل الفقر والمرض وعدم الاستقرار السياسي.
- يؤكــد مزروعي أيضاً أهمية دور إفريقيا في العالم، وكيف يمكن لإفريقيا أن تساهم في السلام والأمن والحوكمة العالمية.
- كما يســلط الكتــاب الضوء علــى قضايا القيادة، والحكم، ودور النخب الإفريقية في عملية التجديد.

بشكلٍ عام؛ يقدّم الكتاب منظوراً دقيقاً ومتفائلاً حول التغييرات الجارية في إفريقيا وإســهاماتها المستقبلية المحتملة على الساحة العالمية.

يختلف تأثير المنافسة بين الصين والولايات المتحدة على القوى الصغيرة والمتوسطة بشكلٍ كبير، ومن المهم لهذه الدول أن تدرس بعناية علاقاتها مع كلتا القوتين

إعادة اختراع إفريقيا.. وإعادة تشكيل النظام الدولي:

تشــير «إعادة تشــكيل النظــام الدولي» إلى عمليــة تغيير ميزان القــوى الحالي وتوزيع النفوذ بين الدول. مــن الصعب التنبؤ بالشــكل الدقيق

(١) Mazrui, A.A., 2005. The re-invention of Africa: Edward Said, VY Mudimbe, and beyond. Re-search in African Literatures, pp. 68-82.

للنظام الدولي المستقبلي، لأنه سيتشكل من خلال مجموعة متنوعة من العوامل، بما في ذلك القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، فضلاً عن الاتجاهات الديموغرافية والتقدم التكنولوجي.

ومع ذلك؛ فإن هناك بعض المميزات المحتملة لنظام دولي مُعاد تشكيله، وهي تشمل:[1]

- **التعددية القطبية:** النظام أحادي القطب الحالي، حيث الولايات المتحدة هي القوة العالمية المهيمنة، من المرجح أن يُفسح المجال لنظام متعدد الأقطاب، حيث سيكون للعديد من القوى الكبرى، مثل الصين، والاتحاد الأوروبي، والهند، وروسيا، تأثيرٌ كبير على المسرح العالمي.
- **القوى الصاعدة:** من المرجح أن تستمر دولٌ مثل الصين والهند في العمل على صعود قوّتها الاقتصادية والعسكرية، مما سيمكنها من القيام بدورٍ أكبر في الحوكمة العالمية وصنع القرار.
- **التكامل الإقليمي:** مع زيادة الترابط بين البلدان والمناطق؛ من المحتمل أن تكون هناك زيادة في التكامل الإقليمي، حيث تقيم البلدان علاقات اقتصادية وسياسية أقوى مع جيرانها.
- **الجهات الفاعلة غير الحكومية:** من المرجح أن يزداد دور الجهات الفاعلة غير الحكومية، مثل الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية، في نظام دولي أعيد تشكيله.
- **القضايا عبر الوطنية:** من المرجح أن يتسم النظام الدولي المعاد تشكيله بالأهمية المتزايدة للقضايا العابرة للحدود، مثل تغير المناخ والأمن السيبراني والإرهاب، والتي ستتطلب التعاون والتنسيق بين الدول.
- **الحوكمة العالمية:** سيكون للنظام الدولي المعاد تشكيله نظام حوكمة عالمي أكثر قوةً وشمولية، والذي سيشمل مشاركةً أكبر من البلدان النامية، وكذلك الجهات الفاعلة في المجتمع المدني والقطاع الخاص.

يقدّم «ك. أنينج» و«دبليو تيتي» نظرة عامة على دور إفريقيا في إعادة تشكيل النظام الدولي؛ من خلال التركيز على إمكاناتها الاقتصادية والديموغرافية والسياسية. كما يقومان بفحص معمق لمعظم التحديات والفرص التي تواجهها إفريقيا في تأكيد مركزيتها في السياسة العالمية[2].

ولعل أبرز الحجج الرئيسية المطروحة في هذا الصدد ما يلي:

- **الإمكانات الاقتصادية لإفريقيا:**

إن إفريقيا لديها القدرة على أن تصبح قوة اقتصادية كبرى في المستقبل. ويُعد النمو الاقتصادي أحد الطرق الرئيسية التي تعيد إفريقيا من خلالها تأكيد مركزيتها في السياسة العالمية. وفقاً لصندوق النقد الدولي (٢٠٢٠)؛ من المتوقع أن تضم إفريقيا أسرع نموٍّ سكاني وقوة عاملة في العالم في السنوات القادمة، مما سيكون له آثار كبيرة على النمو الاقتصادي العالمي. بالإضافة إلى ذلك؛ فإن إفريقيا غنية بالموارد الطبيعية، بما في ذلك النفط والغاز والمعادن، والتي يزداد

(١) Ikenberry, G. J. (2011). Liberal Leviathan: The Origins, Crisis, and Transformation of the American World Order. Princeton University Press. Friedberg, A. L. (2011). A contest for supremacy: China, America, and the struggle for mastery in Asia. WW Norton & Company. Kupchan, C. A. (2010). No one's world: The West, the rising rest, and the coming global turn. Oxford University Press. Cox, R. W. (1994). Global Perestroika: Building a new world order. Monthly Review Press.Krasner, S. D. (1999). Sovereignty: Organized hypocrisy. Princeton University Press.

(٢) Aning, K., & Tettey, W. (2015). Africa in global politics: Reasserting the centrality of the continent. Routledge.

الطلب عليها في السوق العالمية (البنك الدولي، ٢٠١٩).

وتحتل القارة الإفريقية اليوم مكانة رائدة في العالم، على وجه التحديد في تلك السلع التي ليس لها نظائر وهي حيوية لتطوير الدفاع والتقنيات المبتكرة في القرن الحادي والعشرين. نتيجةً لذلك؛ أصبحت إفريقيا شريكاً تجارياً مهماً بشكلٍ متزايد للبلدان في جميع أنحاء العالم، مع وجود الصين والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة من بين أكبر شركائها التجاريين (الأمم المتحدة، ٢٠٢٠). سوف تصبح إفريقيا، وفقاً للتنبؤات المتاحة، بما في ذلك تلك التي تم إجراؤها في «المعهد الإفريقي التابع للأكاديمية الروسية للعلوم»، أهم احتياطي إستراتيجي عالمي وفريد من نوعه تقريباً لمصادر المواد الخام في إطار ثورة الإنتاج الجديدة.

- الوزن الديموغرافي لإفريقيا:

من المرجح أن النمو السكاني المتسارع لإفريقيا سيجعلها فاعلاً دولياً متزايد الأهمية في الحوكمة العالمية وصنع القرار. ويمكن أن ينعكس الثقل الديموغرافي للقارة في العالم في التمثيل المتزايد للبلدان الإفريقية في المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي. وفقاً لتقرير الأمم المتحدة للتوقعات السكانية في العالم: مراجعة ٢٠١٩، من المتوقع أن يصل عدد سكان إفريقيا إلى ٢,٥ مليار بحلول عام ٢٠٥٠م، وهذا يمثل زيادة بنسبة تزيد عن ٥٠٪ عن عدد السكان الحالي البالغ ١,٣ مليار. وفقاً لنفس التقرير؛ من المتوقع أن ينخفض معدل النمو السكاني في إفريقيا بشكلٍ طفيف من معدله الحالي البالغ ٢,٥٪ سنوياً إلى ٢,٢٪ سنوياً بحلول عام ٢٠٥٠م. ويشير التقرير أيضاً إلى أنه من المتوقع أن يستمر سكان إفريقيا في التقدم في السن، مع توقع زيادة نسبة السكان الذين تزيد أعمارهم عن ٦٠ عاماً من ٥٪ في عام ٢٠١٩م إلى ٩٪ في عام ٢٠٥٠م.

ومن الواضح كذلك أنه من المتوقع أن ينمو عدد سكان إفريقيا بوتيرة أسرع بكثيرٍ من نمو سكان الصين والهند.. ويمكن أن يكون لهذا آثار كبيرة على الاقتصاد العالمي والسياسة والبيئة[١].

- دور إفريقيا في حفظ السلام والأمن:

إن إفريقيا لديها تاريخ طويل من الصراعات وعدم الاستقرار، لكنها كانت أيضاً رائدة في عمليات حفظ السلام والأمن. كانت البلدان الإفريقية من بين المساهمين الرئيسيين في عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام، ولعبت دوراً رئيسياً في التوسط في النزاعات وتعزيز السلام والأمن في القارة.

وتقوم إفريقيا بدورٍ مهم في السلم والأمن العالميين بعدة طرق:

أ- حفظ السلام وحل النزاعات:

تقوم الدول الإفريقية والمنظمات الإقليمية، مثل الاتحاد الإفريقي، بدورٍ نشط في جهود حفظ السلام وحل النزاعات في القارة. على سبيل المثال: نشر الاتحاد الإفريقي قوات حفظ سلام في عدد من البلدان، بما في ذلك الصومال ودارفور وجمهورية إفريقيا الوسطى، للمساعدة في الحفاظ على السلام والاستقرار.

ب- الوساطة والحوار:

غالباً ما يقوم القادة والمنظمات الإفريقية بدورٍ رئيسي في التوسط وتسهيل الحوار بين الأطراف المتحاربة في النزاعات حول القارة. ومن الأمثلة على ذلك: الدور الذي قام به رئيس جنوب إفريقيا السابق ثابو مبيكي في التوسط لإنهاء الحرب الأهلية في بوروندي، ودور الرئيس

(١) United Nations, Department of Economic and Social Affairs, Population Division (2019). World Population Prospects 2019: Data Booklet (ST/ESA/SER.A/423). https://population.un.org/wpp/Publications/Files/WPP2019_DataBooklet.pdf

الكيني السابق أوهورو كينياتا والرئيس النيجيري الأسبق أولوسيجون أوباسانجو في تسوية أزمة التيغراي عام ٢٠٢٢م، ودور المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (إيكواس) في التوسط في إنهاء الحرب الأهلية في ليبيريا.

ج- نزع السلاح وتحديد التسلح:

نشطت البلدان الإفريقية في الجهود المبذولة لتعزيز نزع السلاح وتحديد التسلح في القارة. على سبيل المثال: أنشأ الاتحاد الإفريقي آلية للحد من التسلح، وهي معاهدة إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في إفريقيا (معاهدة بليندابا)، والتي تحظر تطوير واختبار وامتلاك واستخدام الأسلحة النووية في إفريقيا.

د- مكافحة الإرهاب:

تعمل الدول الإفريقية والمنظمات الإقليمية على مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف في القارة. على سبيل المثال: أنشأ الاتحاد الإفريقي «المركز الإفريقي للدراسات والبحوث حول الإرهاب» للمساعدة في مكافحة الإرهاب في إفريقيا.

هـ- المساعدات الإنسانية:

تقوم الدول والمنظمات الإفريقية بدورٍ مهم في تقديم المساعدة الإنسانية للمتضررين من النزاعات والكوارث الطبيعية في القارة. على سبيل المثال: عمل الاتحاد الإفريقي، والأمم المتحدة، ومختلف المنظمات غير الحكومية، معاً، لتقديم المساعدة الإنسانية للاجئين والمشردين داخلياً في بلدان مثل الصومال وجنوب السودان.

و- تغير المناخ والبيئة:

إفريقيا هي واحدة من أكثر المناطق تضرراً من تغير المناخ والتدهور البيئي، وكان القادة والمنظمات الإفريقية نشطين في تعزيز التنمية المستدامة ومعالجة هذه القضية، وقد أنشأ الاتحاد الإفريقي «مبادرة الطاقة المتجددة في إفريقيا»، التي تهدف إلى زيادة استخدام الطاقة المتجددة في إفريقيا.

وتظهر هذه الأمثلة الدور النشط لإفريقيا في تعزيز السلام والأمن في القارة والعالم، أضف إلى ذلك إمكانية أن تقوم إفريقيا بدورٍ أكثر بروزاً في تشكيل مستقبل الحوكمة العالمية؛ من خلال تعزيز التنمية الاقتصادية الشاملة والمنصفة، والسلام والأمن، والتكامل الإقليمي.

بالإضافة إلى كل ما سبق؛ فإن التكامل الإقليمي- بما في ذلك منطقة التجارة الحرة القارية- الذي سيجعل من الممكن الاستخدام المشترك والفعال لإمكانيات الدول الإفريقية على المستوى القُطري، من المرجح أن يكون له أهمية رئيسية لتسريع النمو الاقتصادي في القارة الإفريقية. إن إفريقيا الجديدة هي بدون شك سوق عمل متنام ديناميكياً، يضم سلعاً استهلاكية، واستثمارات، وتقنيات حديثة، ومنتجات هندسية عالية التقنية. وعليه- في المستقبل المنظور- من المحتمل أن يكون سيناريو بروز قطب إفريقي واحد كمركز قوة عالمي مؤثراً في إعادة صياغة النظام الدولي.

ثالثاً: أفروتوبيا Afrotopia.. وتحديات المستقبل:

مصطلح «أفروتوبيا» صاغه المؤلف السنغالي «فلوين سار»، وهو مفهوم يتصور مستقبلاً تتحد فيه إفريقيا وشتاتها وتكون قادرة على تشكيل مصيرها في عالم معولم. الحجة الرئيسية لـ«سار» في كتابه (أفروتوبيا) هي أن «إفريقيا لديها القدرة على إنشاء نظام عالمي جديد وأفضل، ولكن لكي يحدث هذا؛ يجب على القارة أولاً إنهاء استعمار عقلها، والتحرر من القيود الذهنية والفكرية للاستعمار»[1].

يجادل «سار» بأن التخلف الحالي في إفريقيا

(١) Sarr, F., 2020. Afrotopia. U of Minnesota Press.

ليس فقط نتيجة الاستغلال الاقتصادي والسياسي من قِبَل القوى الغربيـــة، ولكنه أيضاً نتيجة للقهر الثقافـــي والفكري الذي فرضه الاســـتعمار، وهو يؤكـــد أن تاريخ وثقافة إفريقيا قد تم تشـــويههما ومحوهمـــا وتهميشـــهما من قِبَل الســـرد الغربي السائد، مما أدى إلى نقص الوعي الذاتي واحترام الذات بين الأفارقة.

وعليـــه؛ فإن «إنهاء اســـتعمار العقل» يجب أن يكـــون الخطوة الأولى في تحقيـــق حلم أفروتوبيا، وهي عملية إعادة تقويم الماضي وإعادة النظر في الحاضر؛ من أجل خلق مســـتقبل أفضل لإفريقيا وشتاتها. يتطلب إنهاء استعمار العقل إعادة تقييم جذري للطريقة التي يُنظر بها إلى إفريقيا وتمثيلها، واســـتعادة تاريخ وثقافة إفريقيا من إسار المنظور الغربي السائد.

يجادل «ســـار» أيضـــاً بأن أفروتوبيا ليســـت فقط مثالية لإفريقيا، ولكنها أيضاً شرط ضروري للعدالـــة العالمية. من خلال إنشـــاء نظام عالمي جديد وأفضل، على أســـاس مساهمات وإمكانات إفريقيا وشتاتها، سيصبح العالم مكاناً أكثر إنصافاً وسلاماً وثراءً ثقافياً للجميع.

كيف يمكن لأفروتوبيا إعادة تشكيل النظام الدولي:

يمكن لأفروتوبيا أن تعيد تشكيل النظام الدولي **من خلال الأمثلة الآتية:**

- المثال الأول: من خلال الترويج لاقتصاد عالمي أكثر عدالةً وإنصافاً:

لطالمـــا تم تهميـــش إفريقيا فـــي الاقتصاد العالمي، وقد ساهم ذلك في تخلفها، ولذلك يدعو مفهوم أفروتوبيا إلى إنشـــاء اقتصاد عالمي أكثر إنصافاً يعترف بمساهمات إفريقيا وشتاتها، ويمكن تحقيق ذلك من خلال زيادة التجارة والاستثمار في إفريقيا، فضلاً عن إنشاء شراكات اقتصادية أكثر إنصافاً بين إفريقيا ومناطق أخرى من العالم.

- المثال الثاني: من خلال تعزيز السلام والأمن:

لقد ابتليـــت إفريقيا بالصراعـــات والحروب منذ عقود، مما أعـــاق تنميتها، وهنا يدعو مفهوم أفروتوبيا إلى أن تكون إفريقيا أكثر سلاماً وأماناً، من خلال تعزيز جهود حل النزاعات وبناء السلام، ويمكـــن تحقيق ذلك من خلال زيـــادة التعاون بين البلـــدان الإفريقية والمجتمـــع الدولي، فضلاً عن إنشاء مؤسسات أمنية أكثر فاعلية وشمولية.

- المثال الثالث: هو تعزيز التبادل الثقافي والفكري:

تمتلك إفريقيـــا تراثاً ثقافياً غنيـــاً ومتنوعاً، ولكـــن غالباً ما يتـــم تجاهله وعـــدم تقديره في الســـياق العالمي، ولذلك يدعـــو مفهوم أفروتوبيا إلى تعزيز التبادل الثقافـــي والفكري بين إفريقيا ومناطـــق أخرى من العالم، من أجل تعزيز التفاهم والاحترام المتبادلين، ويمكن تحقيق ذلك من خلال زيادة الاستثمار في برامج التعليم والتبادل الثقافي، وكذلك خلق المزيد من الفرص للأفارقة للمشاركة في الخطاب الثقافي والفكري العالمي[١].

صفوة القول؛ أن مفهـــوم «أفروتوبيا» هو رؤية قوية لمستقبل أفضل لإفريقيا وشتاتها، وهي تدعو إلى إعادة تشـــكيل النظام الدولي بطريقة تعترف بإســـهامات وإمكانات إفريقيا، وتعـــزز عالماً أكثر إنصافاً وسلماً وثراءً من الناحية الثقافية.

التحديات في إعادة تشكيل النظام الدولي:

وعلـــى الرغـــم مما ســـبق ذكره عـــن مفهوم «أفروتوبيـــا» ورؤيته لمســـتقبل أفضـــل لإفريقيا؛ تواجـــه إفريقيا عـــدداً من التحديـــات في إعادة تشكيل النظام الدولي، ويشمل ذلك:

- **الفقـر:** وفقاً للبنك الدولي، في عام ٢٠٢٠م،

(١) Kroeker, L., 2022. African Renaissance, Afro-topia, Afropolitanism, and Afrofuturism: Comparing Conceptual Properties of Four African Fu-.tures. Africa Spectrum, p.00020397221101633

كان أكثر من ٣٨٪ من السكان في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى يعيشون في فقر مدقع، أي هؤلاء الذين يعيشون على أقل من ١,٩٠ دولار في اليوم. بالإضافة إلى ذلك؛ يشير تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٢٠م، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، إلى أنه من المتوقع أن يرتفع معدل الفقر في إفريقيا بسبب آثار جائحة كوفيد-١٩ [١].

- **الصراعات:** وفقاً لمؤشر السلام العالمي ٢٠٢٢م، فإن ١٥ دولة من أصل ٢٠ دولة ذات أدنى درجات السلم تقع في إفريقيا. كما أفاد الاتحاد الإفريقي أيضاً أن هناك أكثر من ٢٠ صراعاً نشطاً في القارة في عام ٢٠٢٠م.

- **تغير المناخ:** وفقاً للبنك الدولي؛ من المتوقع أن تكون إفريقيا واحدة من أكثر القارات تضرراً من تغير المناخ، مع خسارة تقدر بما يتراوح بين ٣٪ و ٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي بحلول عام ٢٠٥٠م. بالإضافة إلى ذلك؛ يذكر تقرير التقييم الخامس للهيئة الدولية المعنية بتغير المناخ أنه من المحتمل أن تشهد إفريقيا موجات حرارة أكثر حدةً وتواتراً أكبر لهطول الأمطار الغزيرة[٢].

- **قلة التمثيل والتأثير في المنظمات الدولية وهيئات صنع القرار:** يشير تقرير صادر عن بنك التنمية الإفريقي إلى: أن إفريقيا ممثلة تمثيلاً غير عادل في مفاوضات التجارة العالمية وعمليات صنع القرار[٣].

أضف إلى ما سبق: الاعتماد على المساعدات والاستثمار الأجنبيين، مما قد يحد من استقلال الدول الإفريقية وقدرتها على صياغة رؤيتهم التنموية المستقلة. كما تعاني إفريقيا من محدودية التطور الاقتصادي والتكنولوجي، مما يعيق قدرتها على المنافسة في الاقتصاد العالمي. ويمثل الفساد عائقاً كبيراً يمكن أن يقوض الحوكمة وجهود التنمية. ولعل عبء الديون يمثل خطراً آخر بالغ الأثر، لأنه يحدّ من قدرة الحكومات على الاستثمار في البنية التحتية والخدمات الاجتماعية. وقد أدت جائحة كوفيد-١٩ إلى تفاقم هذه التحديات، من خلال التسبب في الانكماش الاقتصادي وزيادة الفقر والبطالة.

الخاتمة:

يتضح من التحليل السابق أن الفوضى الدولية قد تُفضي إلى إعادة تشكيل النظام الدولي ليبتعد عن مركزيته الغربية، وهو ما يتضح من ظهور القوى الصاعدة غير الغربية مثل الصين وروسيا. ويمكن لإفريقيا في ظل هذه البيئة الدولية المتغيرة والتي يُعاد تشكيلها أن يكون لها دور مركزي بعيداً عن سرديات التهميش والتبعية التي سيطرت على أدبيات العلاقات الدولية لفترات زمنية طويلة. وكما أظهرت الدراسة تمتلك القارة الإفريقية إمكانيات جيوستراتيجية واقتصادية وسياسية كبيرة، تُمكّنها من «أفرقة» وإعادة تشكيل النظام الدولي.

ومع ذلك؛ يمكن أن يكون للفوضى في النظام الدولي آثارٌ إيجابية وأخرى سلبية على إفريقيا، أحد الآثار الإيجابية المحتملة للفوضى في النظام الدولي على إفريقيا؛ هي أنها قد تسمح للبلدان الإفريقية بتحديد أولويات سياستها الخارجية واتخاذ قراراتها الخاصة دون تدخّل من الدول الأخرى. ولعل ذلك يمكن أن يفضي إلى إعادة إحياء «حركة عدم الانحياز» التي نشأت خلال الحرب الباردة، عندما اختارت العديد من الدول

(١) World Bank's Poverty and Shared Prosperity 2020 report: https://openknowledge.worldbank.org/handle/10986/34652

(٢) International Panel on Climate Change's Fifth Assessment Report: https://www.ipcc.ch/site/assets/uploads/2018/03/WG1AR5_Chapter11_FINAL.pdf

(٣) African Development Bank's report on Africa's representation in global trade: https://www.afdb.org/fileadmin/uploads/afdb/Documents/Publications/AfDB-Economic-Report-on-Africa-2020.pdf

الإفريقية عدم الانحيـــاز إلى الولايات المتحدة أو الاتحاد الســـوفييتي، وبدلاً من ذلك اتبعت طريقها المستقل، وقد سمح ذلك للبلدان الإفريقية برسم مسارها الخاص في الشؤون الدولية والتركيز في أهدافها الإنمائية الخاصة.

كما يمكن أن تسمح الفوضى بمزيدٍ من المرونة والابتكار في العلاقات الدولية، على سبيل المثال: تمكنت البلـــدان الإفريقية من تشـــكيل منظمات إقليميـــة- مثـــل الاتحـــاد الإفريقـــي، والجماعة الاقتصاديـــة لـــدول غـــرب إفريقيـــا- لمواجهة التحديات الإقليمية، مثل حـــل النزاعات والتنمية الاقتصادية. كانت هذه المنظمات الإقليمية قادرة على اتخاذ المبـــادرات واتخاذ القرارات بشـــكلٍ مستقل عن تأثير القوى الكبرى.

ويمكـــن للفوضـــى أيضـــاً أن تُمكّـــن البلدان الإفريقية من تأكيد مصالحها ووجهات نظرها في النظام الدولي، على سبيل المثال: تمكنت مجموعة الـ٧٧، وهي تحالف من الدول النامية يضم العديد من الـــدول الإفريقية، من تعزيـــز مصالح الدول النامية فـــي الأمم المتحـــدة والمنتديات الدولية الأخرى.

ولا يخفى أن الفوضى يمكن أن تعزز المنافسة بين الدول والجهات الفاعلة غير الحكومية، مما قد يؤدي إلى مزيدٍ من الكفاءة والابتكار، على ســـبيل المثال: أدى ظهـــور قوى اقتصاديـــة جديدة مثل الصين والهند إلى زيادة المنافسة في إفريقيا، وأدى إلى زيادة الاستثمار والنمو الاقتصادي في القارة. على أن الميزة الكبـــرى للفوضى الدولية هي أنها تـــؤدي إلى التعدد والتنوع في النظام الدولي، حيث تســـتطيع الدول والجهات الفاعلة غير الحكومية الســـعي لتحقيق مصالحها وأهدافها، بدلاً من أن تكون مقيدة من قِبَل هياكل السلطة المهيمنة، هذا التنوع يمكن أن يعزز الإبداع والابتكار في مواجهة التحديات العالمية.

من ناحية أخـــرى؛ يمكن أن تـــؤدي الفوضى في النظام الدولي فـــي المقابل إلى نقص التعاون والتنســـيق بين الدول، مما قد يـــؤدي إلى زعزعة الاستقرار والعنف في إفريقيا، على سبيل المثال: أدى غياب حكومة مركزية قوية في الصومال منذ ســـقوط نظام سياد بري عام ١٩٩١م إلى فراغ في السلطة ملأه العديد من أمراء الحرب والجماعات المســـلحة، مما أدى إلى حرب أهلية مطوّلة وأزمة إنســـانية. وبالمثـــل؛ أدى فشـــل المجتمع الدولي في التدخل في الإبـــادة الجماعية في رواندا عام ١٩٩٤م، والتـــي مكّنتها الفوضى في النظام الدولي إلى مقتل أكثر من ٨٠٠ ألف شخص.

ويمكـــن للفوضى أيضـــاً أن تخلـــق فرصاً للدول القوية والجهـــات الفاعلة غير الحكومية لاســـتغلال الدول الأضعف، والتي يمكن أن تديم الفقر وعدم المســـاواة في إفريقيا، على سبيل المثال: كانت التجارة غير المشروعة في الموارد الطبيعية، مثل الماس والنفط، مشـــكلة رئيسية في إفريقيا، وكانت مدفوعةً بالفوضى في النظام الدولـــي، حيث لا توجد آليـــة فعّالة لتنظيم مثل هذه التجارة.

صفوة القـــول؛ يمكن أن يكـــون للفوضى في النظـــام الدولي، كمـــا هو الحال مـــع أي ظاهرة معقدة، تأثيراتٌ متعددة الأوجه وتعتمد على السياق وليست واضحة دائماً. ومن المهم أن تسعى الدول الإفريقية إلى تحقيق توازن بين الاستقلال والتعاون في النظـــام الدولي، ويمكن القيام بذلك من خلال التعاون متعدد الأطراف والتكامل الإقليمي، لضمان تعظيم فوائد الفوضى مع تقليل العواقب الســـلبية إلـــى الحد الأدنى.. ذلك هو حلم أفروتوبيا وأفرقة النظام الدولي في القرن الحادي والعشرين ■